

روح المعاني

هذا الطلب هذا مع أنهم لو لم يعتقدوا أن ذلك عذر مقبول والإعتذار به نافع لم يقدموا عليه ومع هذا الإعتقاد لا حاجة بهم إلى طلب الإخراج والإرجاع ولا يقال مثل هذا على تقدير كونه اعترافاً لأنهم إنما قالوه تمهيداً للطلب المذكور لما أنه مظنة تسكين لهب نار الغضب على ما سمعت ثم إن القوم لعلهم ظنوا تغير ما هم عليهم من سوء الإستعداد لو عادوا لما شاهدوا من حالهم في ذلك اليوم ولذلك طلبوا ما طلبوا .

وفي قولهم : عدنا إشارة إلى أنهم حين الطلب على الإيمان والطاعة فيكون الموعود على تقدير الرجعة إلى الدنيا الثبات عليهما لينتفعوا بهما بعد أن يموتوا ويحشروا فتأمل قال [سبحانه إقناطاً لهم أشد إقناطاً إخشوا فيها أي ذلوا وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته فخساً أي انزجروا أو اسكتوا سكوت هوان ففيه استعارة مكنية قرينتها تصرحية ولا تكلمون .

108 .

- باستدعاء الإخراج من النار والرجع إلى الدنيا وقيل : لا تكلمون في رفع العذاب ولعل الأول أوفق بما قبله بالتعليل الآتي وقيل : لا تكلمون أبداً وهو آخر كلام يتكلمون به . أخرج ابن أبي الدنيا في صفة النار عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن [تعالى إذا قال لأهل النار إخشوا فيها ولا تكلمون عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخر يتردد النفس في أجوافهم وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والحاكم وصححه وجماعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : إن أهل جهنم ينادون مالكا ليقض علينا ربك فيذرهم أربعين عاماً لا يجيبهم ثم يجيبهم إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم ثم يجيبهم إخشوا فيها ولا تكلمون قال : فما يبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق .

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وغيرهما عن محمد بن كعب قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم [تعالى في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون : ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيجيبهم [تعالى ذلكم بأنه إذا دعي [وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم [العلي الكبير ثم يقولون : ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا فاعترفنا بذنوبنا فإنا موقنون فيجيبهم [تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم يقولون ربنا

آخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم اﷻ تعالى أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم اﷻ تعالى أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءهم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم اﷻ تعالى إخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وفي بعض الآثار أنهم يلهجون بكل دعاء ألف سنة ويشكل على هذه الأخبار طواهر الخطابات الآتية لا يخفى ولعلها لا يصح منها شيء وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الإعتبار تعالى أعلم .
إنه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن وقرأ أبي وهارون العتكي أنه بفتح الهمزة أي لأن الشأن كان في الدنيا يريدون الرجعة إليها فريق من عبادي وهم المؤمنون